Comprehensive Journal of Science
Volume (10), Issue (38), (Dec, 2025)
ISSN: 3014-6266

مجلة العلوم الشاملة
المجلد (10) ملحق العدد 38 ديسمبر 2025
ردمد: 3014-6266

عبد الرحمن الناصر لدين الله والإمارات المسيحية
دراسة تحليلية لصراعه الحربي مع هذه الإمارات
(300-350هج/912-961م)

جميلة محمد صالح أبو القاسم
أستاذ مشارك بقسم التاريخ، كلية التربية بالزاوية

Abd al-Rahman al-Nasir li-Din Allah and the Christian Emirates
A Analytical Study of His Military Conflict with These Emirates
(300–350 AH / 912–961 AD)

Research submitted by:
Jamila Mohammed Saleh Abu Al-Qasem
Associate Professor, Department of History
Faculty of Education, Al-Zawia
University of Zawia
jabulgasem@zu.edu.ly

تاريخ الاستلام:2025/10/20 -تاريخ المراجعة: 2025/11/23- تاريخ القبول: 2025/12/26- تاريخ للنشر: 28/1/ 2026

ملخص

يتناول هذا البحث الصراع الحربي بين الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300-350هج/912-961م)، وإمارات ليون، نافارا، وقشتاله المسيحية التي نشأت في شمال الأندلس نتيجة للانفصال القوطي بعد هزيمة القوط أمام الفاتحين المسلمين في معركة شذونه عام 92هج/711م. يتكون البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة. يعرض الفصل الأول الإطار التاريخي لنشأة هذه الإمارات وتطورها من جيوب مقاومة هشة إلى كيانات توسعية خلال عهد الإمارة، ويبين موقف ملوكها من تولي عبد الرحمن الناصر لعرش الأندلس، ويناقش بداية صراعها الحربي معه ونتائجه الأولية. أما الفصل الثاني فيجادل ملامح سياسة الناصر في إدارة الصراع الحربي مع هذه الإمارات، ويحلل نتائج هذه السياسة عبر استعراض أهم الغزوات التي شنها على ليون ونافارا وقشتاله، وبيان ملابسات دوافعها وتقييم نتائجها على طرفي الصراع.

Abstract

This research examines the military conflict between Caliph Abd al-Rahman al-Nasir li-Din Allah (300-350 AH/912-961 AD) and the Christian emirates of León, Navarre, and Castile that emerged in northern Al-Andalus as a result of the Gothic secession following the defeat of the Goths by the Muslim conquerors in the Battle of Shduna in 92 AH/711 AD, in an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter presents the historical framework for the emergence and development of these emirates from fragile pockets of resistance into expansionist entities during the era of the Emirate. It clarifies the position of their kings regarding Abd al-Rahman al-Nasir li-Din Allah's accession to the throne of Al-Andalus and

discusses their initial military confrontations with him. The second chapter argues al-Nasir's policy in managing the military conflict with these principalities, presenting the most significant incursions he launched against León, Navarre, and Castile under this policy, analyzing the motivations behind these incursions, and evaluating their outcomes for both sides.

المقدمة

يمثل عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300–350هج/912–961م) قمة القوة السياسية والعسكرية للإمارة الأموية في الأندلس، التي تحولت من مرحلة الانقسام والتمرد والاضطرابات الداخلية والضعف في مواجهة تهديدات الإمارات المسيحية في شمال الأندلس ليون، نافارا، وقشتاله، إلى قوة مركزية سيطرت عليها سياسيًا وعسكريًا ودبلوماسيًا. نشأت هذه الإمارات كنتاج للانشقاق الذي حدث في صفوف الجيش القوطي بعد هزيمة معركة شذونه في عام 92هج/711م أمام الفاتحين المسلمين، وهروب بعض قادته إلى الجبال مستفيدين من تضاريسها الوعرة من ناحية، والفتن والاضطرابات التي سادت عصر الولاة (95–138 هج/714–756م) من ناحية أخرى، فخلقوا كيانات سياسية هددت الثغور الإسلامية طوال عهد الإمارة (138–300هج/756–912م)، وارتفعت حدة هجماتها مع وصول عبد الرحمن الناصر إلى عرش الأندلس. يركز البحث على الصراع الحربي الذي خاضه الناصر لدين الله مع هذه الإمارات، سياسته في مواجهة عدوانها من خلال خطة حربية غيرت معايير القوى في شمال الأندلس لصالحه. ويعرض لأهم الغزوات التي خاضها ضد إمارات ليون، نافارا وقشتاله، ويبين أسبابها ويقيم نتائجها على طرفي الصراع، استناداً إلى الروايات التاريخية التي عرضت تفاصيل هذه الغزوات، ليكشف كيف استطلع التغلب على هذه الإمارات رغم التحديات الداخلية.

إشكالية البحث

بالرغم من أن تهديد الإمارات المسيحية في شمال الأندلس كان قائمًا طوال عصر الإمارة، إلا أن وتيرته تصاعدت مع وصول عبد الرحمن الناصر لعرش الأندلس عام 300هج/912م، مما يثير التساؤل: كيف تمكن هذا الخليفة من قلب موازين الصراع العسكري مع ليون، نافارا، وقشتاله رغم تفوقهم الجغرافي والتحالفي؟ إلى مدي كانت سياسة الناصر الحربية وغزواته المتكررة، ودبلوماسيته المرنة، فعالة في إدارة هذا الصراع وتحقيق الاستقرار الحدودي؟.

أهداف البحث

1–بيان الإطار التاريخي لنشأة إمارات ليون، نافارا وقشتاله، وتطورها كتهديد للثغور الإسلامية.

2–تحليل ملامح سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الحربية في إدارة الصراع مع هذه الإمارات.

3–عرض أهم الصوائف والغزوات التي شنها الناصر لدين الله ضد هذه الإمارات، وتحليل دوافعها وتقييم نتائجها على الجانبين.

4–تقييم مدى فعالية هذه السياسة في قلب موازين القوى، وإخضاع ملوك هذه الإمارات، وإجبارها على عقود صلح دائمة.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في الطرح الجديد الذي يقدمه لموضوع الصراع الحربي بين الخليفة الناصر وإمارات ليون، نافارا وقشتاله المسيحية، والقائم على تحليل سياسته في إدارة الصراع معها، وما أفضت إليه من مكاسب سياسية وعسكرية وتغييرات جغرافية وتحركات دبلوماسية لاحتواء التهديد. مما يسهم في إعادة قراءة هذا الصراع، ويوفر فهماً أعمق لكيفية موازنة الدول لمصالحها الداخلية والخارجية، مع استخراج دروس تاريخية حول أهمية الدبلوماسية المرافقة للقوة العسكرية في تحقيق الاستقرار السياسي.

منهج البحث

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي في استقراء المصادر والمراجع التاريخية الخاصة بفترة البحث.

حدود البحث: يقتصر البحث زمنياً على عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (300-350هج/912-961م)، ومكانياً على الصراع مع إمارات ليون، نافارا وقشتاله والتركيز على الجانب الحربي والسياسي فقط.

الكلمات الدالة: الخليفة الناصر، الإمارات المسيحية، الثغور الإسلامية المواجهة، أوردونيو، روذمير، شانجه، غاريسه، البشكنس، سانشو ، طوطه، سياسة، الصراع، غزوات، أسباب، نتائج.

الفصل الأول: الإطار التاريخي لنشأة الإمارات المسيحية وتطورها، وموقفها من تولى الناصر لدين الله عرش الأندلس

أولاً. الإطار التاريخي لنشأة الإمارات المسيحية

برزت الإمارات المسيحية في شمال الأندلس كنتاج لهزيمة القوط الكبرى في معركة شذونه عام (92هج/711م) بين الفاتحين المسلمين والقوط بزعامة ملكهم لذريق، حيث انسحبت بقايا جنودهم المهزومة ونخبهم العسكرية إلى المرتفعات الجبلية الوعرة شمال غرب الأندلس وجنوبها وشرقها[1]. لم تكن هذه المناطق ذات طبيعة جغرافية ميسرة للفتح الإسلامي السريع، إذ شكلت حاجزاً طبيعياً قوياً أعاق تقدم جيوش المسلمين رغم المحاولات المتكررة التي قام بها بعض ولاة الأندلس[2]، للقضاء على هذه البقايا، وعبورهم جبال المعروفة بالبرنيه أو البرتات[3]، إلى بلاد الفرنجة (فرنسا الحالية). كما أدت الصراعات الداخلية المريرة بين العرب والبربر، ثم بين الشاميين والبلديين طوال عهد الولاة، إلى إضعاف الجهود المبذولة لتتبع هؤلاء الفارين والقضاء عليهم، مما منح بعضهم الفرصة لإعادة تجميع قواهم وتنظيم صفوفهم وبناء كيانات سياسية جديدة شهدت تطوراً تدريجياً من مجرد جيوب مقاومة إلى كيانات منظمة، دخلت في حروب طويلة مع المسلمين خلال عهدي الولاة والإمارة(95-300هج/714-912م)[4]، وامتد نفوذها جنوباً نحو الثغور الإسلامية، مستغلة ضعف الإمارة الأموية، لتشكل تهديداً حقيقياً لاستقرار الأندلس الداخلي، وأهم هذه الإمارات: -

1-إمارة ليون: في الحدود الشمالية الغربية للأندلس

نشأت هذه الإمارة على إنقاض إمارة أشتوريش وجليقيه[5]، حيث أسس الأمير القوطي بلاي مركز مقاومة في جبال كوفادونغا الوعرة شمال غرب الأندلس، بعد فراره من أسر المسلمين في ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي سنة (98هج/717م). توارثت أسرته الحكم عبر أجيال، لتصل إلى ألفونسو الثالث[6]، الذي قسم الإمارة سنة (297هج/910م) بين أبنائه الثائرين عليه، فحكم غارسيا الأول الشمال الغربي ناقلاً العاصمة من أوفيدو إلى ليون[7]، التي كانت منطقة حدودية موالية جزئياً للمسلمين[8]، غير أنها سرعان ما توسعت جنوباً نحو نهر الدويرة [9]، في ريف الأندلس الشمالي الذي هجره البربر هرباً من هجمات أمراء أشتوريش[10]. بنى أمراء ليون شبكة من التحصينات المنيعة في هذه المناطق عرفت بالحصون والقلاع، من أشهرها شنت أشتيبن دي جيرمان وسسمورا وشِمنقه ووخشمه، التي تحولت إلى قواعد انطلاق للغارات على الثغور الأندلسية[11].

بلغت ليون ذروة قوتها في بداية القرن الرابع الهجري والعاشر الميلادي، لتصبح التهديد الأكبر للإمارة الأموية، خاصة تحت حكم ملكها أوردونيو الثاني شديد العداء للمسلمين، والذي خاض وقائع عديدة مع الخليفة عبد الرحمن الثالث الناصر كما سنوضح في المبحث الثاني. اعتمدت ليون على مزيج من الدعم الديني المسيحي والتحالفات مع حكام بعض مدن الثغور الأندلسية الذين سنعرض لهم في هذا البحث، مما سمح لها بتوحيد جهودها العسكرية في مواجهة ضعف الإمارة الأموية، وعلى الغارات على حدود الثغور في بناء قوتها الاقتصادية. وكانت توسعاتها الجنوبية ليست عشوائية، بل جزءاً من خطة طويلة الأمد للسيطرة على ممرات الثغور ومسالكها، مما جعلها محور الصراع الحربي مع خليفة قرطبة عبد الرحمن الناصر لدين الله كما سنعرض في المبحث الثاني.

2-إمارة نافارا أو نبرة: في الحدود الجنوبية الشرقية للأندلس

تشكلت هذه الإمارة في بنبلونه الواقعة عند سفوح جبال البرنية او البرتات، التي تمثل الحد الطبيعي بين الأندلس وبلاد الفرنجة أو فرنسا، حيث تقطن قبائل البشكنس أو الباسك، والتي كانت تحت سيطرة ملوك إمارة أشتوريش وجليقيه المذكورة أعلاه، حتى نهاية القرن الثاني الهجري، والثامن الميلادي[12]. وصلتها جيوش المسلمين بقيادة عقبة بن الحجاج السلولي (116-

121هج/734-739م)، وفتحوا أهم مدنها أربونة والبة وبنبلونه العاصمة، والتي حكموها فترة من الزمن وتنازعوا على حكمها مع الفرنجة، حتى الربع الأول من القرن الثالث الهجري والتاسع الميلادي[13]. استغلت قبائل البشكنس انشغال المسلمين بالنزاع مع الفرنجة حول الإقليم الجنوبي من جبال البرنية، وتوجت إينيغو ملكاً لبنبلونه، واستقلت عن أشتوريش وصارت تعرف ب "نبرة" (وهي تعريب لمصطلح نافارا)، وتوسعت على الحدود الشرقية للأندلس[14]. وفي فترة حكم غارسيه بن ونقه طور علاقات اجتماعية وسياسية مع موسى بن موس ابن فرتون[15]، وشاركه في صد هجوم أوردونيو الأول ملك ليون على الثغر الأعلى. لكن خلفه شانجه بن غارسيه عدى بني قسي ودخل معهم ومع المسلمين في حروب كثيرة، وعندما آل عرش نافارا أو نبرة إلى أبنه سانشو الأول، وكان طفلاً، تولت أمه الملكة طوطه أو توته، الوصاية علية [16]، وتحالفات مع ملوك ليون وقشتاله ضد المسلمين الأمر الذي جعل الخليفة الناصر يغزو إمارتها كما سيتضح في المبحث الثاني. تميزت نافارا بمرونة سياسية، تنقلت بين التحالف مع المسلمين والعداء الشديد لهم، واستغلت موقعها الحدودي للعب دور الوسيط بين أمير قرطبة وباقي الإمارات المسيحية، مما جعلها شريكاً غير موثوق في دائرة الصراع الحربي الذي خاصه الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله وهذه الإمارات.

3-إمارة قشتاله: بلاد القلاع الحدودية

نشأت قشتاله كمنطقة حدودية صغيرة عند سفوح كانتابريا[17] بين ليون ونافارا، خاضعة في البداية لأشتوريش ثم لليون بعد تقسيمها، وشاركت في غاراتهما على الثغر الأوسط[18]. عقب الحرب الأهلية في ليون نهاية القرن الرابع الهجري، والعاشر الميلادي ظهرت قشتاله كإمارة مستقلة، حيث استغل الكونت فرناندو ضعف ليون ووحد قلاعها[19]. اعتمدت قشتاله على اقتصاد الغارات والتجارة الحدودية، مما سمح لها بالنمو السريع كحلقة وصل بين الإمارات الشمالية، لتصبح لاحقاً قوة مركزية كبرى بين ليون في شمال غرب الأندلس ونافارا في جنوبها الشرقي، وشاركتهما العداء لخليفة قرطبة عبد الرحمن الناصر. عرفت قشتالة بلاد القلاع، لكثرة الحصون التي شيدها ملك ليون فيها، والمواجهة للثغر الأوسط الإسلامي[20].

ثانياً. موقف ملوك هذه الإمارات من وصول عبد الرحمن الناصر لعرش الإمارة

مع وصول الناصر لعرش الأندلس عام 300هج/912م، كانت هذه الإمارات الثلاث قد مدت نفوذها على شمال غرب الأندلس وجنوبها الشرقي، وتوسعت جنوباً نحو الثغور الإسلامية مستغلة الفتن والثورات والتمردات التي شهدتها الأندلس خلال الستين سنة الأخيرة من عصر الإمارة (238-300هـ/852-912م)، غير أن انقسامها السياسي والعسكري منع تبني موقف عدائي موحد تجاه قرطبة، رغم العداء المشترك الذي كان يجمع ملوكها ضد السلطات المركزية في قرطبة. ولا جدال في إنها رأت في وفاة الأمير عبد الله بن محمد (275-300هـ/888-912م)، الفرصة المناسبة للقضاء على الإمارة الأموية في للأندلس، لكن إن إصرار عبد الرحمن الناصر على توحيد بلاده، والقضاء على المتمردين المرتبطين بهذه الإمارات قلب موازينها السياسية. اثار ذلك قلق ملوك هذه الإمارات، فاستغلوا انشغاله بترتيب البيت الداخلي وشنوا سلسلة من الغارات الفردية والتحالفية للسيطرة على الحدود الجنوبية للأندلس، ويكمن تلخيص أحداثها فيما يلي:

في عام 301 هـ/913م، هاجم أوردونيو الثاني مال ليون مدينة يابرة[21]، في الثغر الأوسط بعشرين ألف مقاتل، فدمر المدينة وأحدث مجزرة في سكانها وصفها ابن حيان[22]، كأشد الكوارث التي حلت بالمسلمين في الأندلس. وفي عام 303هـ/915م، دمر ماردة، الواقعة في الثغر الأدنى بستين ألف مقاتل، مما أجبر أهل بطليموس القريبة منها على الخضوع خوفاً من مصير مشابه[23]. وفي عام 307هـ/919م، تحالف أوردونيو مع ملك نافارا شانجه بن غارسيه الأول المعروف بالبشكنشي[24]، فاستولى أوردونيو على طلبيرة[25]، واجتاح غارسيه مزارع بني قسي[26]، حتى نهر إيبرة[27] وأهان أهل تلك الأقاليم وأفسد مزارعهم[28]. وفي 311هـ/921م، قاد شانجه البشكنسي عملية حربية أخرى للثغر الأعلى، استهدفت حصن بقيرة، على حدود الأندلس الشرقية مع نافارا، وأخذ من فيه من بني لب وبني ذي النون أسرى لإمارته وقتلهم جميعاً[29]. كانت هذه الغارات جزءاً مما يمكن تسميته بـ(استراتيجية الضغط الوقائي) لاستغلال فترة التحول السياسي في قرطبة، لكنها عمقت في ذهن الخليفة عبد الرحمن

الناصر لدين الله، الاستشعار بالخطر ورسخت في وعيه أهمية إعادة النظر في سياسته الحربية حيال هذه الإمارات. الفصل التالي يبحث في سياسة الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله الجدية في إدارة الصراع الحربي مع إمارات ليون، نافارا وقشتاله ويبين مدى تأثيرها في مواجهاته معها.

الفصل الثاني: الناصر لدين الله وسياسته في مواجهة هذه الإمارات

أولاً. سياسة الناصر

ركز الخليفة عبد الرحمن الناصر في السنوات الثلاثة الأولى من حكمه على القضاء على الفتن والتمردات الداخلية، مؤجلاً ملف الإمارات المسيحية وتعدياتها على الثغور الإسلامية حتى استقرار الأوضاع الداخلية لإمارته. غير أن تصاعد حدة هجمات ملوك هذه الإمارات على ثغور بلاده بالتزامن مع بداية حكمه –كما ذكر أعلاه– شكل نقطة تحول هامة في سياسته الجديدة المتمثلة في دمج ملف الأخطار الخارجية مع التحديات الداخلية والتحول من سياسة الاكتفاء بصد هجمات ملك ليون ونافارا التي انتهجها خلال الثلاث سنوات الأولى من حكمة إلى سياسة المبادرة بالهجومية ضمن خطة عسكرية محكمة غيرت موازين القوى في شمال الأندلس لصالحه. رغم غياب الوصف الصريح لهذه الخطة في المصادر، فإن القراءة المتأنية لسلسلة صوائف الناصر وغزواته التي سنعرضها لاحقاً، تبين ملامح هذه الخطة المتمثلة في:

1– نقل ساحات الصراع الحربي إلى داخل أراضي ليون، نافارا وقشتاله.

2–إصلاح الجيش بتدوير القيادات العسكرية وتعزيزه بمقاتلين من العرب والبربر والصقالبة.

3–التنسيق مع جيوش الأقاليم لدعم الجيش المركزي في الغزوات الكبرى.

4–تحصين خط الثغور بتحويلها إلى حصون منيعة مدعومة بفرسان مرابطين.

5–الغزوات المتكررة لإنهاك الممالك المسيحة حربياً واقتصاديًا ونفسياً.

6– استغلال الخلافات بين ملوك ليون ونافارا وقشتاله وعقد تحالفات سياسية مؤقتة.

7–الدبلوماسية المصاحبة للضغوط الحربية.

ثانياً. المواجهة بين الناصر والإمارات المسيحية

أثر هذه السياسة في تغيير موازين الصراع الحربي لصالح الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله يتضح من الاستعراض التالي لتفاصيل اهم الصوائف والغزوات التي تقاسم قيادتها مع كبار قواده ووزرائه وحجابه ضد إمارات ليون، نافارا وقشتاله وبيان ملابسات دوافعها وتحليل نتائجها على طرفي الصراع.

1–**صائفة أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي عبدة عام 304هج/916م، إلى إمارة ليون،** للثأر من أوردونيو الثاني على خلفية جرائمه في مدينتى يابرة وماردة. نجح أبو عبده في التوغل في أعماق أراضي ليون، ودمر عددًا من قلاعها الحدودية مثل ببشتر وسمورة، وأجرى استطلاعًا دقيقاً لمواقع عسكرية[30]، ستكون هدفًا للغزوة القادمة.

نتائج هذه الصائفة بالنسبة الناصر: اثبتت استعادة هيبة الدولة، وجمع معلومات استخباراتية حيوية. بالنسبة لملك ليون: أدرك أن بلاده لم تعد امنه، وأصابه القلق من قدرة الناصر على الاختراق العميق لإمارته. الأهمية السياسة: أثبتت الصائفة فاعلية سياسة الناصر الجيدة في إدارة الصراع الحربي لصالحه.

2–غزوة ابي عبدة الثانية لليون عام 305هـ/917م، ومواجهة أوردونيو الثاني على اسوار شنت إشتيبن. شجعت المكاسب التي حققها أبي عبدة في الحملة السابقة، الخليفة الناصر على إرساله في صائفة ثانية لإمارة ليون لتكثيف الضغط على ملكها أوردونيو وإجباره على التوقف عن غزو أراضي المسلمين. تحرك أبي عبدة مدعوماً بقوات جديدة من أبناء الثغور المتضررين من هجمات ملك ليون، بعضها نظامي وبعضها متطوع، ونجح في التوغل في أراضي ليون ومحاصرة أكبر قلاعها المعروفة باسم "شنت إشتيبن دي جرمان". استنجد سكانها بملكهم أوردونيو الذي قاد جيشاً جراراً وهاجم ابي عبده

فبث الرعب في الفرق غير النظامية فيه فانسحبت تاركت مواقعها، استغلها أوردونيو وهاجم جيش أبي عبدة فاختل توازنه وهزم وقتل أغلب جنوده ومثل أوردونيو بجثة قائده الذي علق رأسه على هذا الحصن إلى جانب رأس خنزير بري[31].

نتائج الغزوة: بالنسبة للناصر: كشفت عن ضعف الوحدات غير النظامية وضرورة الاعتماد على جيش نظامي قادر على المواجهة، مما دفع الخليفة الناصر للقيام بأجراء إصلاحات في الجيش ودعمه بعناصر جديدة من الصقالبة والبربر[32].

بالنسبة لملك ليون: انتصارا حربي ونفسي كبير عزز مكانته أمام رعيته وأظهر قدرته على صد هجمات جيش الناصر، غير أن هذا الانتصار لم يغير من حقيقة تغلغل جيش الناصر في راضي ليون، مما يبقي تهديده لها قائماً.

الأهمية السياسية: رغم الهزيمة التكتيكية، شكلت معركة حص شنت أشتيبن نقطة تحول تنظيمية أثرت على صراعات الناصر اللاحقة مع الممالك المسيحية.

3-غزوة مطونيه بقيادة الحاجب بدر بن أحمد عام 306هج/918م، بالرغم من الخسائر البشرية للمسلمين في شنت أشتيبن، إلا انها لم تفت من عضد الخليفة الناصر لدين الله واصراره على مواجهة هذه الإمارات في عقر دارها. حيث الأوامر للحاجب بدر بالتحرك للثأر لمقتل ابي عبده ورفاقه، وامر جيوش الأقاليم بالالتحام معه ففعلوا، اقتحم بدر اراضي ليون من الأقاليم الشرقية المجاورة لهذه الامارة، وبدا في حصار مدينة مطونية القريبة من ليون العاصمة، فدمر زرعها وهدم مصانعها وكنائسها وانتصر على جيشها وقتل الكثير من رجالها ورجع بغنائم وسبي لا يعد ولا يحصى[33].

نتائج مطونيه: بالنسبة للخليفة الناصر، اثبتت نجاح الجيش المنظم المدعوم بجيش الأقاليم النظامي في أداء المهام العسكرية، وأعادت لجيش الناصر التوازن النفسي بعد هزيمة شنت اشتيبن.

بالنسبة لليون: صدمة ثانية تؤكد قدرة جيش خليفة قرطبة على التوغل العسكري وإلحاق الضرر باقتصاد ليون. الأهمية السياسية لمطونيه: شكلت خطوة انتقالية نحو الغزوات الكبرى التي سيتولى قيادتها الناصر شخصياً.

4-**غزوة مونش، شهد عام 308هج/920-921م**، تطوراً جديداً في سياسة الناصر وطريقة إدارته للصراع الحربي، تمثل في الخروج بنفسه لحرب ليون ونافارا، لعدة أسباب يأتي في مقدمتها 1-تعزيز مكانته أمام رعيته وأمام الإمارات المسيحية من خلال قيادته للجيش، وإبراز قدرته على نقل الحرب الى داخل أراضي ليون ونافارا. 2-استهداف التحالف الليوني النفاري والرد على عدوانهم المتكرر على الثغر الأعلى. 3-انتشار أنباء عن عزم ملك ليون أوردونيو الثاني الهجوم على ثغر الجوف أو الثغر الأوسط [34]، الذي يمثل طوق الحماية لقرطبة. استعد الخليفة الناصر استعداداً لم يسبق له مثيل في غزوة مونش، بجمع الجيوش والذخيرة والسلاح من جميع مدن وأقاليم الأندلس، وتحرك وفق خطة عسكرية محكمة بدأها بالاستحواذ على المقر الدفاعي الأول لإمارتي ليون وقشتالة وهو مدينة الفرج أو وادي الحجارة، وعين عليها سعيد بن منذر القرشي عاملاً. ثم دخل منها الى أراضي ليون فهاجم حصن وخشمه على الضفة اليمنى لنهر الدويرة، والذي فر سكانه، فدخله المسلمون وغنموا ما فيه وهدموه وأحرقوه وما حوله من الضياع، وكذلك فعلوا بحصن قاشتر مورش المحاذي له، والحصون والقلاع والديار المجاورة له. وحسب ابن حيان [35]، فقد اجتمع لدي المسلمين من الغنائم والأطعمة والخيرات من هذه الحصون ما لم يستطيعوا نقله. تقدم الناصر بعد ذلك لحصن شنت أشتيبن، الذي استشهد ابن أبي عبدة وهو يحاصره، فهربت حاميته ودخله المسلمون واستولوا على ما فيه، ثم أمر الناصر بهدمه ودمار أبراجه وكنائسه ودوره. وخلال تقدمه، التقى جموعاً كبيرة من جيوش التحالف الليوني النفاري بقيادة أوردونيو الثاني ملك ليون وشانجه بن غارسيه ملك البشكنس ومن انضم لهم من المسيحيين في الحصون المجاورة لشنت أشتيبن، وجرت معركة كبيرة بينهم في وادي يدعى خونكيرا، انتهت بانتصار عظيم للناصر وجيشه، وهلاك أغلب جيش التحالف وهروب أوردونيو وشانجه[36]. بينما التجأ الناجون من جيش التحالف الى حصن "مونش"، الذي سميت الغزوة باسمه، فطوقه الناصر وجيشه حتى فتح عنوة واستنزل جميع من كان فيه أمام الخليفة الناصر، فأمر بقتلهم جميعاً وكانوا نيفاً وخمسمائة من الفرسان والرهبان، ودمر الحصن وجميع ما حوله من قلاع [37].

نتائج مونش: بالنسبة للخليفة الناصر، هزيمة جيوش التحالف وتهديم جميع الحصون المسيحية على ضفاف نهر الدويرة، الأمر الذي شل قدرة إمارتي ليون ونافارا على التوغل جنوباً في مناطق الثغور الإسلامية لفترة طويلة، وزاد هيبة الناصر في الداخل والخارج، الأمر الذي شجعه على إعلان الخلافة عام 316هج/929م.

بالنسبة للتحالف الليوني النفاري: أكدت مونش التفوق العسكري للخليفة الناصر لدين الله، وقدرته على مداهمة ليون ونافارا في ديارهم، وأجبرت ملوكها على إعادة النظر في خططهم الحربية وعلاقاتهم مع الناصر، خاصة بعد إعلان الخلافة.

الأهمية السياسية: ساهمت غزوة مونش في ترسيخ فكرة الجهاد وشرعيته، وظهر الخليفة الناصر في هيئة السلطان المسلم الذي هزم المسيحيين وأهانهم على أرضهم، وردت للجيش الثقة القتالية في الحملات المقبلة.

استثمر الخليفة الناصر لدين الله الهدوء الذي ساد جبهة الثغور الشمالية في السنوات الثلاث التالية لغزوة مونش في تصفية حساباته مع باقي المترددين في الداخل[38]، والمعتدين على سكان الثغور الإسلامية من ملوك الإمارات المسيحية مثل ملك نافارا الذي سيستهدفه بهذه الصائفة.

5-صائفة الوزير عبد الحميد بن باسيل عام 311هج/923م، لم يغفر الخليفة الناصر لدين الله لشانجه بن غارسيه البشكنسي ملك نافارا ما فعله ببني لب وبني ذي النون في حصن بقيرة، فأرسل هذه الصائفة لتأديبه. تمكن بن باسيل من عبور الثغر الأقصى ودخول أراضي نافارا، فخرب زرعها واشتبك مع قوات شانجه وهزمه في أكثر من موقعة [39].

نتائج الصائفة بالنسبة للناصر: عززت هيبته داخلياً، ومهدت للحملة الكبرى اللاحقة لتأمين الثغور.

بالنسبة لملك نافارا: أضعفت قدراته العسكرية والاقتصادية.

الأهمية السياسية: أظهرت قدرة الناصر على التنسيق بين الجبهتين الداخلية التي كان يقودها بنفسه ضد المتمردين، والخارجية معتمداً على قادة أكفاء في العمليات الحربية السريعة، مما يعكس براعته في استغلال فترات الهدوء لضربات في جبهات متعددة.

6-غزوة بنبلونه عام 312هـ/924م، وذروة الصراع الحربي بين الناصر لدين الله وإمارة نافارا.

السبب الرئيس لخروج الناصر بنفسه على رأس هذه الغزوة هو الانتقام من اعتداء شانجه بن غارسيه البشكنسي لتحالفه مع أوردونيو ملك ليون في الهجوم على يابرة، وهجومه على حصن بقيرة وأسر من فيه ثم قتلهم. في طريقه الى بنبلونه مر الناصر لدين الله بعض مدن الثغر الأعلى في شرق الأندلس فأخضع العصاة والمتمردين في سرقسطة وتفقد أحوال تطيلة لضمان ولائهم[40]. وفي الأخيرة التحمت معه جيوش عاملها والتجيبيون سكان سرقسطة، وبهذا الجيش الجرار دخل الناصر أراضي بنبلونه فاستولى على قلعة قلهرة ودمرها، وتقدم يحرق ويهدم جميع ما يجده في طريقه الى بنبلونه من قلاع وحصون وقرى وديار وكنائس، فر أهلها الى الجبال تاركين أموالهم وأمتعتهم وأسلحتهم، التي غنمها المسلمون، وتقدم الى بشكنسة موطن شانجه التي فقوضها وعسكر الناصر بجيشه بجوارها.

وفي اليوم التالي دخل العاصمة بنبلونه فألفها خالية كأن لم يسكنها بشر، فأمر الناصر بهدم ما فيها من قصور ودور وكنائس. حاول شانجه ملك نافارا جمع قواته والتصدي لجيش الناصر في جبال نافارا الوعرة أكثر من مرة، لكنه هزم، بينما واصل جيش الناصر التقدم في أقاليم نافارا سالكاً الوديان الجبلية الوعرة، ومهدماً كل ما يجده أمامه من حصون وأبراج ومشتتاً شمل سكانها الذين حاولوا الوقوف في وجه تقدم جيشه، حتى بلغ حصن المسرة، وكان سكانه مسلمين قد حاصرهم النفاريون ففك الناصر حصارهم، وزودهم بالأطعمة والمؤن والأموال، وختم هذه الغزوة بإخضاع بني ذي النون، وعاد الى قرطبة بعد أربعة أشهر محملاً بالأسرى والغنائم الهائلة[41].

نتائج بنبلونه: بالنسبة للخليفة الناصر: تدمير كامل لبنبلونه العاصمة النفارية وشل قدرتها الهجومية، والحصول على غنائم هائلة عززت خزينة الدولة في الصرف على المشروعات المعمارية الكبرى كمدينة الزهراء، التي شرع في بنائها عام

325هج/936م. بالنسبة لملك لنافارا: أضعفت التحالف السياسي لنافارا وشلت مقدرتها الحربية، وتدمير بنيتها التحتية والاقتصادية مما أجبرها على إعادة تقييم سياستها الهجومية ضد خليفة قرطبة.

الأهمية السياسة: تعزيز نفوذ الناصر على الثغر الأعلى.

7-الفترة الانتقالية الثانية: من 318-321هـ/931-933م، وإخضاع حاكم طليطلة الحليف لملك ليون.

عقب وفاة أوردونيو ملك ليون في عام 312هـ/924م، دخلت هذه الإمارة في فوضى كبيرة وصراع على العرش [42]، استغل الناصر هذا الوضع وأصبح أكثر استعداداً لمواجهة ليون التي اعتلى عرشها روذمير الثاني، ابن أوردونيو، عام 320هـ/932م. كان روذمير هذا ماكراً في الحرب والسياسة، استخدم ذكاءه في استقطاب حاكم طليطلة[43]، ليتحالف معه وحرضه على العصيان والتمرد على الخليفة الناصر. لذلك أرسل الناصر وزيره سعيد بن منذر القرشي على رأس حملة عسكرية كبيرة لضرب الحصار على طليطلة عام 318هـ/931م، والتحق به مع ابنه الحكم فيما بعد. تمكن الناصر من إخضاع عدد من الحصون المحاذية لطليطلة، وبنى مدينة الفتح في قمة جبل حرنكش، الذي يطوق طليطلة، ولدواعي أمنية، ترك الناصر قواده يحاصرونها ورجع إلى قرطبة، ثم عاد لطليطلة في عام 320هـ/932م وكله إصرار على إخضاعها [44]. استنجد أهل طليطلة بملك ليون روذمير الذي أسرع لنجدتهم فوصلت قواته حصن مجريط [45]، لكن قوات الناصر تصدت له فتراجع، ولم يجد أهل طليطلة مفراً من التسليم للناصر، فصفح عنهم وغفر لهم، وهدم الأسوار التي اعاقت دخوله إليها [46].

نتائج هذه الفترة: إخضاع طليطلة وإعادتها للسيطرة المركزية وإفشال مؤامرة روذمير، والرد على ذلك بغزو مقاطعة جليقية.

8-غزوة عبد الحميد بن باسيل لجليقية عام 321هـ/933م.

لم يغفر الخليفة الناصر لروذمير تدخله في شؤون طليطلة وتحريضه لعاملها على التمرد، لذلك عقب تأمينها كلف وزيره عبد الحميد بن باسيل بغزو جليقية، إحدى المقاطعات التابعة لليون، عن طريق طليطلة للرد على تدخل روذمير في شؤون هذه المدينة الإسلامية. من هذه المدينة استطاع ابن باسيل الدخول إلى جليقية في غرب ليون، وفتح مدنها ودمر زرعها وعاث فيها بجنوده، وكاد يحقق نجاحاً كبيراً حين تحرك نحو حصن وخشمه الهام بالنسبة لليون، لكن روذمير خرج عليه فجأة وتمكن من إبعاده عن الحصن وأسر عدد كبير من جنوده[47].

نتائج جليقية: بالنسبة للناصر: نجاح مذهل لابن باسيل في التوغل في عمق جليقية وفتح مدنها وتدمير دفاعاتها. بالنسبة لروذمير: نجاح كبير في حماية حصن وخشمه في أول مواجهة مع أحد قواد الناصر، ومعنويات مرتفعة بأسر جنوده.

الأهمية السياسية: أصبح حصن وخشمه رمزاً للصراع الحربي، مما استدعى ضرورة تدخل الناصر الشخصي لتدميره في الغزوة التالية.

9-غزوة وخشمه 322هج/933م، ودبلوماسية الناصر مع الملكة طوطه

السبب المباشر لهذه الغزوة، تدمير وخشمه لما تمثله من تهديد للثغور الإسلامية، والثأر لجنود بن باسيل الأسرى. في هذ الغزوة عقد الخليفة الناصر العزم على دخول مملكة ليون عبر مدينة الفرج التابعة لكورة سرقسطة، لكن تخلف عاملها التجيبي[48]، عن اللحاق به مع جيشه، جعل الناصر يعرج على سرقسطة ويخضع عدد من حصون التجيبي ويكليف قواده بحصارها [49]، ثم واصل مسيره نحو ليون، مقرراً مهاجمة حصون وخشمه وقاشتر مورش المحاذي له من اراضي مملكة نافارا باعتبارها الأقرب لهذه الحصون[50]. في هذا الوقت، كان ملكها شانجه بن غاريسه قد توفى وآل عرشها إلى أبنه سانشو الأول الذي لم يتجاوز العاشرة من عمرة، فتولت امه الملكة طوطه الوصاية عليه وحكمت باسمه. وما إن علمت طوطه بنوايا الناصر دخول بلادها لضرب هذه الحصون ذعرت وأرسلت رسلها تتوسل للخليفة الناصر لدين الله بصرف جنوده وخيله عن بلادها، مما جعله يلجأ للحوار الدبلوماسي معها، والذي أسفر عن حضورها، إلى معسكره محملة بالهدايا، فأكرمها وعقد معها اتفاقاً سياسياً وثق ابن حيان[51]، تفاصيله يمكن تلخيصها فيما يلي: -

1-تعاون ملكة نافارا طوطه والسماح لجيش المسلمين بعبور أراضيها لضرب وخشمه. 2-احترام الناصر لأراضي نافارا من الغارات والتدمير عند المرور بها. 3-إعلان طوطه الطاعة والولاء للمسلمين والتبرؤ من ملوك ليون ونافارا واعمالهم ضد المسلمين. 4-تتعاون طوطه مع قواد الثغر لضبط الأمن بينها وبين المسلمين. 5-تطلق سراح رهائن بني ذي النون في سجونها. وافقت طوطه على الشروط وشهد عسكره عليها، واعترف الناصر بابنها سانشو الصغير ملكاً على بنبلونه ووسع لها ولمرافقيها في العطاء، فغادرت مسرورة ونفذت الاتفاق وأطلقت الأسرى[52].

بهذه الدبلوماسية تمكن الناصر من عبور أراضي نافارا إلى إمارة ليون واستولى على مدن البة والقلاع بعد هروب سكانها، وحطّم أكبر حصونها المنار وأنية، وهدم كنائسها وأديرتها، وهدم حصن وخشمه وقاشتر مورش. ثم داهم ليون بحثاً عن روذمير الذي كان متحصناً بالجبال عند "قبة الرهبان" حيث دارت معركة كبرى بينهما هزم فيها روذمير وقتل وجرح كبار قواده، مع خسائر كبيرة ايضاً في جيش الخليفة الناصر لدين الله. وتمكن جيش الناصر من عبور وادي وخشمه، وكانت بعض فلول روذمير، تتعقبهم، غير إن المسلمين تصدوا لهم واجبروهم على الفرار، وعند حصن غرماج، على وادي نهر الدويرة، قرر الناصر العودة لقرطبة بعد أن فتح عدد من حصون التجيبي[53].

نتائج وخشمه: انتصار حاسم لعبد الرحمن الناصر دون قتال مباشر كبير، وتدمير وخشمه وقشتر مورش وغيرها من الحصون والقلاع. إرغام روذمير الثاني على الصلح بعد تردد مبعوثيه على قرطبة، وموافقته على الشروط التي وضعها الناصر لدين الله للصلح والمتمثلة في:

-توقف ليون غارتها على الثغر الأعلى. وتتوقف عن دعم التجيبي المتمرد عن الخليفة الناصر.

وفي 15 ربيع الآخر 323هـ/934م، حلت سفارة ملك ليون بقرطبة وتم توقيع الصلح في بلاط الخليفة الناصر لدين الله وسط حفل كبير حضره كبار رجال الدولة، ولبست قرطبة حلة من الزينة في هذا اليوم حسب ابن حيان [54]، الذي يؤكد إن هدف الناصر من هذا الصلح كان إبعاد روذمير عن دعم التجيبي المتمرد عليه. لكن هذا الصلح لم يدم طويلاً حيث نكثه روذمير في العام التالي[55]، مما جعله هدفاً للغزو من جديد.

10-غزوة أحمد بن محمد بن الياس إلى ليون عام 324هج/ 935م

جاءت هذه الحملة كرد فعل على انتهاك الملك الليوني روذمير، لمعاهدة الصلح التي أقرها مع الخليفة الناصر لدين الله، حيث تقدم بجيوش كبيرة نحو حصون سرقسطة لدعم حاكمها محمد بن هاشم التجيبي الذي واجه تمرداً من قبائل عربية وبربرية رفضت تبعيتها، لملك ليون. وكذلك لصد تهديد تحالف مسيحي واسع ضم ملك ليون روذمير وملكة نافارا طوطه وملك قشتاله شانجه والتجيبي حاكم سرقسطة، ضد الخليفة الناصر. حقق بن الياس نصراً ساحقاً بمواجهة الجموع المتحالفة، مما أدى لخسائر فادحة لديهم أثناء الانسحاب، حيث وقع الكثير منهم في النهر، وملئت الخنادق بجثثهم، وأرسال بن الياس رؤوس أكثر من ألف وثلاثمائة من قتلاهم إلى قرطبة علقت على باب السدة، مما ألهم مشاعر الشعراء فألفوا القصائد يهنئون خليفة قرطبة بالنصر الذي حققه أحمد بن الياس[56].

11-غزوة الخندق عام 327هـ/939م، القشة التي قصمت ظهر البعير في الصراع الحربي بين الناصر والممالك المسيحية

تعتبر هذه الغزوة من أهم وأخر الغزوات الكبرى التي قادها الخليفة عبد الرحمن الناصر لإخضاع ملك ليون روذمير وملكة نافارا طوطه بسبب نقذهم للعهود التي كانت بينه وبينهم، وتفكيك تحالفهما كجزء من سياسته لتوسيع السيطرة على الثغور الشمالية وتأمينها. ووفقاً لابن حيان [57]، فقد بدأ الناصر التجهيز لهذه الغزوة قبل وقتاً طويل من خروج الجيش بجمع العتاد الحربي من آليات، أسلحة، ذخيرة، وأموال، وإرسال التعليمات إلى عمال الأقاليم والمدن الأندلسية لحشد الجيوش من نظاميين ومتطوعين وعرب، بربر، وصقالبة [58]. وما ان اكتملت الاستعدادات حتى خرج الناصر على راس جيش بلغت عدته مائة ألف مقاتل، قاصداً ليون عبر طليطلة وبدأ في اقتحام أراضيها لأيام متتالية متنقلاً بين اقاليمها ومدمراً لحصونها ومزارعها

وغلالها وطامساً لأثار ديارها، ومحرراً لأسرى المسلمين في كهوفها وغانماً لما يجده من أموالهم ومتاعهم. ثم تقدم نحو مدينة شمنقة أو شنت منكش عاصمة ليون، بينما كانت قوات التحالف اليوني–النفاري–القشتالي، ترابط على اسوارها. في هذه الأثناء تمكن محمد بن هاشم التجيبي، المرافق للناصر في هذه الغزوة، مع فرقة من الخيالة من التقدم وعبر نهر شنت منكش، والتقي بجيش روذمير على الضفة الأخرى لهذا النهر في اليوم الأولي، فكانت الغلبة لهاشم وفرقته في البداية، وقتلوا الكثير من النصارى وقسيسيهم وفرسانهم[59].

ثم انسحب روذمير وفق خطة عسكرية، وجمع شتات جيشه وجر التجيبي وراءه لخندق كبير محفور مسبقا حول شمنقه، وجرت معركة ثانية كبيرة بينهم، سقط فيها التجيبي عن فرسه والتقت عليه جيوش التحالف وأسرى، وهزمت فرقته، وقتل الكثير من رجاله، ومن تراجع منهم سقط في الخندق الكبير المحاط بشمنقة، والذي سميت المعركة باسمه. ترك الناصر مكانه وتقدم بقواته لإنقاذ التجيبي، سارع ليون واحتله ودارت الدائرة على اجيش الناصر واختل توازنه وقتل واسر عدداً كبيراً منه، واستولى روذمير على خيمة الخليفة وسترته الذهبية وسيفه ومصحفه وسلاحه ومعداته الحربية ونجى الناصر بأعجوبة وقفل عائداً إلى قرطبة عبر وأدي الحجارة في خمسين من جنوده، بينما ظل التجيبي في الأسر عند روذمير أكثر من سنتان، والناصر يسعى لفك اسره ويضاعف في فديته حتى عاد لقرطبة في 333هج/945م [60].

نتائج المعركة الحربية والسياسية:

1–هزيمة مدوية جعلته يعتزل قيادة الحملات العسكرية بنفسه حتى وفاته.

2–خسائر اقتصادية كبيرة منعت الناصر من إرسال حملات كبيرة في السنين التالية.

3–أدرك الناصر عدم كفاية السياسة الحربية فلجأ للدبلوماسية في الداخل والخارج، فقلد أمراء الثغور الشمالية من بني تجيب، بني ذي النون، بني زروال، بنى غزوان، بني الطويل وبني رزين شؤون ثغورهم، ومدهم بالسلاح والجنود للدفاع عنها[61].

4–علجاء الناصر لعقد هدن مع بعض أمراء ليون نظير تسليم أو هدم حصون حدودية معينة، وإصلاح أخرى بما يخدم مصلحة الأمارة الأموية [62].

5–استخدم الناصر أمراء الإمارات المسيحية ضد بعضهم ليمنع تحالفهم ضده، فعقد معاهدات صلح مع بعضهم منفردين لإضعاف تحالفهم مثل الصلح مع روذمير ملك ليون وشنبر ملك برشلونة [63].

6–اهتم الناصر بتجديد بعض المدن مثل مدينة سالم وتحصينها وبنا مدن جديدة مثل مدينة سكتان في اقصى ثغر الجوف مما ساهم في خلق توازن قوى بينه وبين الممالك المسيحية حتى وفاته في 350هج/961م، [64]

بغض النظر اسباب هزيمة غزوة الخندق، ورغم عدم خروج عبد الرحمن الناصر للغزو بنفسه بعد هذه الهزيمة كما أشار ابن الخطيب[65]، إلا أنه واصل إدارة الصراع الحربي مع إمارات ليون ونافارا وقشتاله من كرسي العرش في قرطبة. حيث تكشف روايات ابن حيان وابن عذاري عن استمرار الإمارات المسيحية كهدف لعدد كبير من الهجمات السريعة والغارات الخاطفة التي أطلقها الخليفة الناصر لدين الله خلال العقدين الرابع والخامس من خلافته، والتي يمكن بيانها فيما يلي:

- ❖ في سنة 329هج/949م، استهدف الناصر ملك ليون روذمير بغزوة بقيادة أحد قواد بسبب عدم احترامه لعقد الصلح الموقع من الخليفة الناصر لدين الله ومهاجمة اراضي المسلمين[66].
- ❖ وفي عام 332هـ/944م، قاد أحمد بن محمد بن الياس حملة استهدفت ليون فاخترق أراضيها وأحرق عددًا من حصونها، ورجع بالغنائم[67].
- ❖ وفي عام 339هـ/950م، غزى القائد أحمد بن يعلى ليون وأسفرت غزوته عن فتح ثلاث حصون وسبي نحو ألف من سكانها[68].
- ❖ في عام 339هـ/951م، وبعد وفاة روذمير الثاني ملك ليون دخلت مملكته في صراع داخلي على العرش، استغل الناصر الفرصة وكلف قائد بطليموس عام 340هـ/951م بمهاجمة المواقع العسكرية الحدودية للإمارات المسيحية. نجح بطليموس

في هزيمة جيش روذمير وجنوده، وعاود لقرطبة بأكثر من ثلاثمائة سبي. وفي العام نفسه، غزا ليون ثلاثة أخرين من قواد الناصر: أحمد بن يعلى (للمرة الثانية)، رشيق، ويحيى بن هاشم التجيبي[69].

- ❖ عام 342هـ/953م، قاد أحمد بن يعلى غزوة ثالثة لليون، قتل فيها عددًا كبيرًا من رجال روذمير الثاني، وسبى النساء والأطفال، وأحرق المزارع ونسف الحصون[70].
- ❖ عام 344هـ/955م، اخترق جنود الناصر لدين الله المرابطون على الحدود مع قشتاله دفاعاتها، وهاجموا حصنًا وقتلوا حوالي مائة ألف من سكانه. حاول الملك الجديد أوردنيو الثالث الثأر دون جدوى، فبدأ مفاوضات مع الناصر أدت إلى صلح تنازل فيه أوردنيو عن عدة حصون، ولعب حسداي بن شبروط، وزير الناصر وطبيبه اليهودي، دورًا محوريًا في التوصل لهذا الصلح[71].

الخاتمة

من خلال الدراسة التحليلية لسياسة الخليفة الناصر لدين الله في إدارة الصراع الحربي مع إمارات ليون ونافارا وقشتاله يتضح ما يلي:

1. إن نشوء هذه الإمارات في شمال الأندلس جاء نتاج هزيمة جيش القوط امام الفاتحين المسلمين، واحتماء بعض قواده بالجبال مستفادين من صعوبة تضاريسها والصراعات الداخلية التي مرت بها الأندلس في عصر الولاة.
2. إن هجمات هذه الممالك المتكررة على الثغور الإسلامية شكلت الدافع الرئيسي لتطوير عبد الرحمن الناصر لسياسة المواجهة الحربية معهم.
3. أضعفت سياسة الناصر الهجومية تحالفت هذه الممالك وأعادت القوة العسكرية والهيبة السياسية للأندلس.
4. اسفرت غزوات الناصر الحربية لهذه الممالك عن استعادة السيطرة على اغلب القلاع والحصون الحدودية في شمال الأندلس.
5. نجاح الخليفة عبد الرحمن الناصر في تحقيق التوازن القوي على الحدود الشمالية للأندلس، حيث أوقفت غزواته توسع ليون ونافارا وقشتاله جنوباً نحو العاصمة قرطبة طوال العقود الخمسة التي قضاها في الحكم.
6. أسهمت دبلوماسية الناصر في استقطاب الملكة طوطة في تحقيق نتائج مذهلة في غزوة وخشمة.
7. اجبر غزوات الناصر على إمارة لليون لإجبار ملكها على طلب الصلح.
8. إن نكث إمراء الممالك المسيحية لعهودهم مع الناصر يواجه دائماً بتجديد العارات عليهم.
9. أبقت غارات الناصر الخاطفة بعد غزوة الخندق على الهيمنة الأندلسية، مؤكدة استمرارية تفوقه الحربي رغم الهزيمة.
10. براعة الخليفة الناصر لدين الله في تحويل الصراع من تهديد وجودي الى فرض للهيمنة، مع تعزيز الحدود وإضعاف الخصوم.

قائمة المصادر والمراجع والهوامش

1. عنان، محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، ج1، ط4، نشر، مكتبة الخانجي، ج1، ق2، 1417هج/1997م، ص 209، والحجي، عبد الرحمن علي، العلاقات الدبلوماسية الأندلسية مع أوربا الغربية خلال المدة (138-366هج/755-976م)، أبو ظبي، المجمع الثقافي 2004م، ص32.
2. أمثال السمح بن مالك الخولانى (100-102هج/719-721م)، وعنبسة بن سحيم الكلبي (103107هج/722-725م)، وعبد الرحمن الغافقي (112-114هج/730-732م)، وعقبة بن الحجاج السلولي (116-121هج/734-739م) للمزيد حول جهودهم أنظر، أخبار مجموعة، مؤلف مجهول، في فتح الأندلس وذكر امرائها والحروب الواقعة

بينهم ، تحقيق، إبراهيم الابياري، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ، 1410هج/1989م، ص 31-35، و ابن عذاري، أبي العباس أحمد بن محمد (ت712هج)، المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، حققه وضبط نصه وعلق عليه، بشارة عواد معروف ومحمود بشارة عواد، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، تونس، ج2، 1434هج/2013م، ص 32-34، وبروفنسال، ليفي، تاريخ اسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبيه (711-1031م)، ترجمة علي عبد الرؤوف البمبي وعلي إبراهيم منوفي والسيد عبد الظاهر عبد الله، مراجعة، صلاح فاضل، الطبعة الثالثة، المجلس الأعلى للثقافة، 2000م، ص 70-73، عنان، مرجع سابق، ج1، ص 77-119، ومؤنس، حسين، فجر الأندلس، الطبعة الثانية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، 1405هج/1985م، ص 236-244، والحجي، مرجع سابق، ص 32.

3. الجبال التي تفصل الأندلس عن فرنسا والتي يسميها العرب بلاد الفرنجة.

4. حول هذه الحروب راجع ، عنان، مرجع سابق، ج1، ص 338-345، والحجي، عبد الرحمن اندلسيات، المجموعة الثانية، الطبعة الأولى، دار الإرشاد للطباعة والنشر، بيروت، 1389هج/1969م، ص 39-42، وفيلالي د. عبد العزيز، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، نشر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1999م، ص 51-61، وسالم، السيد عبد العزيز، تاريخ المسلمين واثارهم في الأندلس من الفتح إلى سقوط الخلافة، نشر، مؤسسة شباب الجامعة، 1997م، ص 153-67، والدليمي انتصار محمد صالح، التحديات الداخلية والخارجية التي واجهت الأندلس خلال الفترة (300-366هج/912-976م)، رسالة ماجستير منشورة، كلية الآداب جامعة الموصل، العراق. 1426هج/2005م، ص65-78.

5. نسبة إلى قبائل الأستوريس و الجلائقة الذين كانوا يقطنون مرتفعات شمال غرب الأندلس منذ عهد الرومان"، والتي تحصن فيه الأمير القوطي بلاي أو بلايو، واسس إمارته بين هذه القبائل فسميت باسمهم "استوريش وجليقية"، ومن هنا بدأ مقاومة الوجود الإسلامي في الأندلس منذ عصر الأمير عبد الرحمن الداخل، للمزيد عن هذه الإمارة وحروبها مع المسلمين أنظر، أبن عذاري ،مصدر سابق، ج2 ص 277-278، ودوزي، رينهرت، المسلمون في الأندلس، اسبانيا، الإسلامية، ترجمة وتعليق وتقديم، د. حسن حبشى، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج2، 1994م،، ص 14-19، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 340-341، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 354-360، والحجي، مرجع سابق، ص 60-64، ومؤنس، 336-346، وبيضون د. إبراهيم، الدولة العربية في اسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافة 92-422هـ/711-1031م، الطبعة الثالثة، نشر، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، 1406هج/1986م، ، ص 285-286، والسامرائي، د. خليل إبراهيم، د. عبد الواحد ذنون، د. ناطق صالح مطلوب، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، طبعة 1، نشر، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ليبيا، 2000م ، ص 139- 138.

6. أحد احفاد بلاي، للمزيد عن هذا القائد راجع، عنان، مرجع سابق، ج1، ص 209-214، والحجي، مرجع سابق، ص 52-60، ومؤنس، مرجع سابق، ص 209-341، والسامرائي واخرون، مرجع سابق، ص 135-136.

7. دوزي، مرجع سابق، ج2، ص 12-18، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 230-250، والحجي، مرجع سابق، ص 60-64، والسامرائي واخرون، مرجع ص 132-143.

8. دوزي، مرجع سابق، ج2، ص 14.

9. يوجد في شمال غرب الأندلس ويخترق مقاطعة قشتالة.

10. عنان، مرجع سابق، ج1، ص 357، دوزي، مرجع سابق، ج2، ص 17، والحجي، اندلسيات، مرجع سابق، ص 42- 48، ومؤنس، مرجع سابق، ص 346-352.

11. دوزي، مرجع سابق، ج2، ص 16-17، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 353-361، الحجي، مرجع سابق، ص 59-64.
12. عنان، مرجع سابق، ج1، ص 361، والحجي، مرجع سابق، ص 76، والسامرائي، مرجع سابق، ص 138.
13. مؤلف مجهول، مصدر سابق، ص 33-43، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 362،
14. الحجي، مرجع سابق، ص 76، والمر، منى علي إبراهيم، نصارى الأندلس والسفارات والوفود، المجلة العلمية لكلية الآداب، مجلد 11، عدد 2، 2022م، 39-64.
15. زعيم أسرة بني قصي المولديه، التي حكمت منطقة حوض نهر إيبرو في الثغر الأعلى، وكان يعرف بملك الثغر، تحالف مع ملوك بنبلونه أو نفارا عسكرياً لمواجهة أعداؤه من المولدين من بني جلدته أمثال بني طويل، أو ضد إمراء قرطبة، كما تحالف معهم اجتماعيا بتزويج بناته من ملوك بنبلونه، للمزيد عنه أبن فرتون انظر، الحجي، مرجع سابق، ص 77، والحجي أندلسيات، مرجع سابق، والسامرائي، مرجع سابق، ص139.
16. الحجي، مرجع سابق، ص 77-78، والحجي، اندلسيات، مرجع سابق، ص 51-55.
17. في اقصى شمال اسبانيا وتمثل حاجز طبيعي بين إمارة قشتاله وليون في الجنوب وسواحل استووريش وبلاد البشكنس في الشمال.
18. السامرائي وآخرون، مرجع سابق، ص 139، والحجي، اندلسيات، ص 54.
19. لمزيد من التفاصيل عن ملوك قشتاله راجع، ابن الخطيب، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطي(ت776هـ)، أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام، تحقيق، سيد كسروي حسن، ط1، نشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، 1424هج/2002م، ص 285-290، السامرائي واخرون، مرجع سابق، ص 140.
20. السامرائي وآخرون، مرجع سابق، ص 139، والحجي، اندلسيات، ص 54.
21. بلد ابن عبدون شاعر الأندلس، للمزيد حولها أنظر، الحميري، أبي عبيد الله محمد بن عبد المنعم، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تصحيح وتعليق، ليفي بروفنسال، طبعة 2، نشر، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988م، ص 197.
22. القرطبي، المقتبس، أعتنى بنشره، ب. شالميتا بالتعاون لضبطه وتحقيقه مع ف. كورينطي و م. صبح وغيرهما، نشر، المعهد الاسباني العربي للثقافة، وكلية الآداب بالرباط، مدريد، ج5، 1979م، ص 92-96، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 341، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص394، والحجي، مرجع سابق، ص 59-64، وبيضون، مرجع سابق، ص 287، والمر، منى علي إبراهيم، نصارى الأندلس والسفارات والوفود، المجلة العلمية لكلية الآداب، مجلد 11، عدد 2، 2022م، ص 39-64.
23. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 120-123، وسابق، ص 23، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 341.
24. نسبة إلى البشكنس أو الباسك، أقدم الشعوب التي وجدها المسلمون عند فتح الأندلس عام 92هج/711م، تقطن الحصون والقرى الوعرة في أقاليم شمال شرق الأندلس والمعروفة بجبال البرانس على طول الضفاف العليا لنهر إيبرو، وهم الذي اسسوا إمارة نافارا أو نبرة أو بنبلونه المشار إليه في البحث.
25. اقصى الثغر الأعلى.
26. اسرة من موالي بني امية في الأندلس، حكمت ثغور وادي نهر إيبرو في الفترة الممتدة من القرن 3-4هج/9-10م.

27. في أقصى التخوم العليا للإمارة الأموية في الأندلس والمقابلة للإمارات المسيحية، وجزء منه يعتبر منطقة احتكاك وصدام بين المسلمين والإمارات المسيحية، للمزيد حوله راجع، أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص143.
28. بروفنسال، مرجع سابق، ص 345، ودوزي، مرجع سابق، ج2، ص 24.
29. ابن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 186-188، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 399.
30. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 125-126، ودوزي، مرجع سابق، ج2، ص 23، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 342، والسمرائي واخرون، مرجع سابق، ص 165.
31. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 145-150، وابن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص 169-170، ودوزي، مرجع سابق، ج2، ص 26، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 395، وأبو مصطفي، كمال السيد، دراسات اندلسية في التاريخ والحضارة، نشر، مركز الإسكندرية للكتاب، 1997م، ص 117م.
32. العبادي، أحمد مختار، في التاريخ العباسي والأندلسي، نشر دار النهضة العربية، بيروت، لبنان. بدون ت. ص397.
33. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 145-147، وابن عذاري، مصدر سابق، ج2، 171، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 395-396.
34. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 159.
35. مصدر سابق، ج5، ص 159-160 وابن عذاري، مصدر سابق، ص 171-173، ودوزوي، مرجع سابق، ج2، ص 27، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 344.
36. يقع إلى الغرب من بنبلونه عاصمة البشكنس.
37. للمزيد عن تفاصيل هذه الغزوة راجع، ابن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 160-168.
38. في هذه الفترة اخضع الناصر حصن طرش في عام 309هج/921م، حصن منت روى الواقع بين كورتي البيرة وجيان في عام 310هج/922م، وكان سكانه من اهل الذمة، أعلنوا الخلاف وكانوا يسلبون أموال الناس ويسفكون دمائهم. لذلك حاصرهم الناصر حتى ابادهم اكثرهم، ثم غادر وواصل جيشه حصارهم حتى اذعنوا للطاعة. وفي عام 3011هج/923م، غزى الناصر ببشتر وحصون رية حيث منازل سليمان بن عمر بن حفصون، للمزيد عن هذه الغزوات الداخلية راجع، ابن حيان، مصدر سابق، ج5، 171-185.
39. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 186-188، وأبن عذاري، مرجع سابق، ج2، ص 175-176، عنان، مرجع سابق، ج1، ص 399.
40. حول اعمال الناصر في طريقة لغزوة بنبلونه راجع أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 190-191.
41. نفسه، مصدر سابق، ج5، ص 191-195، وأبن عذاري، مصدر سابق، ج2، 176-178، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 399، ودوزي، مرجع سابق، ج2، ص 29.
42. راجع تفاصيل هذه الأحداث عند، ابن عذاري، مرجع سابق، ج2، ص 178-187، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص401، وعلي، عمار عبد الرحمن حسين، العلاقات السياسية بين العرب والمسلمين في الأندلس وممالك النصارى في الشمال (316-422هـ/928-1030م)، *مجلة ديالة*، العدد السادس والخمسون، 2012، ص 1-45.
43. دوزي، مرجع سابق، ج2، ص 31، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 349، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 402، وعلي، مرجع سابق، ص5.

44. دوزي، مرجع سابق، ج2، ص 31، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 349، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 402، وعلي، مرجع سابق، ص5.

45. أحد اهم القواعد الدفاعية التي شيدها الأمير محمد بن عبد الرحمن عام 246هج/860م، بين الأندلس ومملكة ليون.

46. لتفاصيل أكثر حول حصار الناصر لهذه المدينة راجع، أبن حيان، مصدر سابق، ج، 5، ص 333، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 403، وعلي، مرجع سابق، ص 6.

47. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 324.

48. هاشم بن محمد بن عبد الرحمن.

49. ابن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 324-325.

50. نفسه، مصدر سابق، ص 335، وعنان، مرجع سابق، ج1، 403.

51. مرجع سابق، ج5، ص 336.

52. نفس المصدر، ونفس الصفحة.

53. نفس المصدر، ج5، ص 336-342، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 350، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 405.

54. مصدر سابق، ج5، ص 365.

55. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 379.

56. نفسه، ص 381، وأبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص 191.

57. مصدر سابق، ج5، ص 422-423.

58. عبيد أو رقيق التجارة، الذين كانوا يجلبون من أوربا ومن اقاليم الأندلس الشمالية، للمزيد حولهم راجع، دويدار، حسن يوسف، المجتمع الأندلسي في العصر الأموي 138-422هج/755-1030م، ص 51-62، والعبادي، مرجع سابق، ص 405-406.

59. أبن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 435.

60. نفس المصدر، ص 435-436، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 352، وعنان، مرجع سابق، ص 416-417.

61. ابن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 437-438، وعنان، مرجع سابق، ج1، ص 344.

62. عنان، مرجع سابق، ج1، ص 344.

63. ابن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 357و453، وعنان نفس المرجع ونفس الصفحة.

64. ابن حيان، مصدر سابق، ج5، ص 465.

65. مصدر سابق، ج2، 38.

66. عنان، مرجع سابق، ج1، ص 344.

67. أبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص 199، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 355.

68. أبن عذاري، نفسه ونفس الصفحة 199، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 355.

69. أبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص 199-200، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 357.

70. أبن عذاري، مصدر سابق، ج2، ص 199-200، وبروفنسال، مرجع سابق، ص 357.

71. أبن عذار، مصدر سابق، ج2، ص 201.